إلى أى حد ينبغى أن تتعاون الدول[1]

فى رفع مستوى المعيشة عند الشعوب

لحضرة صاحب المعالى الأستاذ عبد المجيد بدر بك وزير الشؤون الاجتماعية

سيداتى وسادتى :

يوم تضع هذه الحرب الضروس أوزارها ، وتنصرف شعوب العالم عن التطلع إلى حومة الموت والدمار ، إلى التطلع إلى حلبة الحياة والعمران ، فى هذا اليوم ، ستكتب الانسانية بمداد من دماء البشرية التى أهرقت فى هـذا التطاحن ، ميثاقا يقطعـه على نفسه الغالب والمغلوب ، المحارب وغير المحارب ، أن لا حرب بعد اليوم .

فى هذا اليوم ، سيضىء العالم أمل فى حياة سلام مستقرة ، تعيش فيها الشعوب متعاونة فى كرامة ، متساندة فى عزة .

فى هذا اليوم ، و بعد أن تنقشع هذه الغمة ، وتخبو هذه النيران التى صهرت القلوب والأفئدة ، وقضت على ما كان فيها من خبث وشر ، ستطالب الأنسانية بأن يعيش الانسان لأخيه الانسان ، لاعدو له — وأن يضحى الانسان لأخيه الانسان ولا يضحى به .

فى هذه الآونة ، ستهفو النفوس — وقد صفت — إلى نظم تكفل لأهل الأرض حياة تكافأت فرصها ، وارتفع مستواها ، حياة بعيدة عن البؤس والمرض والجهل ، — وسيصبح العالم وقد ارتقت وسائل مواصلاته فوق رقيها المعلوم — جسما واحدا جمعتـه آلام وأحلام واحدة ، وأمانى واحدة .

لقد شملت هذه الحرب وجه البسيطة ، واندلعت نيرانها فى كل ركن من أركان العالم ، فلم ينج من ويلاتها ونكباتها فرد يعيش على وجه الأرض — ولم يذكر التاريخ فى صفحاته أن حربا أخرى قد شملت هذه المساحة من الدنيـا .

كذلك — ولأول مرة — شارك المدنيون العسكريين فى تحمل مصائب الحرب ، بل ان أثرها فيهم قد فاق فى بعض الأوقات أثرها فى العسكريين ، فكم سمعنا أن مدنا اجتثت من أصولها وامحت من صفحة الكون ، وأن آلافا من الأطفال والنساء والعجزة دفنوا أحياء تحت الأنقاض أو التهمتهم النيران .

لقد عانى المدنيون الآمنون من ويلات هذه الحرب الشىء الكثير — عانوا الحرمان والجوع والعرى والمرض — وهم يرنون الآن بأبصارهم إلى عالم جديد يسوده الاستقرار

---

(١) نص المحاضرة التى ألقاها معاليه فى قاعة يونيت الذكارية .

والهدوء والأمن ، ويرفرف عليه الرخاء والدعة والمحبة . ويأملون أن يعوضوا عن بنيهم وذويهم الذين ذهبوا ضحية هذا الصراع العنيف ، وأن يعوضوا عن دورهم التي دمرت وعن أرضهم وزرعهم ومصانعهم ومتاجرهم وعن حرمانهم طوال مدة الحرب مما اعتادوه من الكساء والغذاء والدواء ، يبغون لأنفسهم ولأولادهم حياة فيها من السعادة ما ينسيهم هول الماضي القريب ، أو ذكرياته الأليمة .

لهذا انصرف تفكير الساسة وقادة الرأى فى الأمم إلى تنظيم السلام ، بل إن تفكيرهم فى شؤون الحرب لم يصرفهم يوما من الأيام عن التفكير فى شؤون السلام .

ولقد أفاض هؤلاء الساسة فى وضع خطط واسعة النطاق بعيدة المدى ، كثيرة التفاصيل ، لتنظيم السلام ، وشمل هذا الاستعداد كل نواحى الحياة ، فما من صغيرة ولا كبيرة إلا بحثت أو أعد فيها رأى ليبحث ، وغاية العاملين فى هذا الميدان أنه حال إحراز النصر يكون الاستعداد قد تم لإنشاء عالم جديد ينعم بالحرية والعدل والرخاء ، ويتحرر الانسان فيه من الفقر والمرض والجهل ، حتى لا تفجأهم الحوادث كما فجأتهم عند نهاية الحرب العظمى الماضية

سيداتى ، سادتى :

لقد كان انتصار الحلفاء فى تلك الحرب انتصارا حاسما ، ولكن الانسانية لم تجن من ورائه ما كانت تصبو إليه من راحة وسلام ورخاء ، ذلك لأن الحلفاء لم يكونوا قد استعدوا لتنظيم السلام الذى يعقب الحرب . وقد انقضت أشهر طويلة قضاها رجالهم فى الحوار والجدال أحيانا ، وفى التفاهم والاتفاق أحيانا ، حتى وضعوا شروط الصلح ، التى أطلقوا عليها معاهدة فرساى .

ولم يكونوا قد أعدوا شيئا لتنظيم السلام ، اللهم إلا ما أعلنه الرئيس ولسن من شروط لم تكن تخلو من الغموض والإبهام ، لأنها لم تكن وليدة لمداولات أو اجتماعات جدية من الأمم المتحالفة ، وانما كانت من جانب الحكومة الأمريكية وحدها .

أما فى هذه الحرب ، فلا نغالى إذا قلنا ، إن الاستعدادات قد بدأت لسلام من يوم أن أذلع لهيب الحرب . فأخذ رجال السياسة فى عقد اجتماعاتهم المتتالية ، وأخذ رجال الاقتصاد فى إعداد مذكراتهم المستفيضة ، وأخذ رجال الاجتماع فى إعداد تقاريرهم وبحوثهم الشاملة .

فرأينا اجتماعات تعقد بين الساسة فى مشارق الأرض ومغاربها ، وعنها تصدر قرارات لا تخلو من رأى أو رغبة فى نظام معين يطبق فى وقت السلم ، ومنها ميثاق الاطلنطى الذى صدر فى سبتمبر سنة ١٩٤١ ، ولا مؤتمر " دمبرتون أوكس " الذى عقد فى أكتوبر سنة ١٩٤٤ ،

ولا قانون الاعارة والتأجير ، أو اتفاق المساعدة والتعمير إلا بعض نتائج هذه المشاورات الدوليه التى رمت إلى تنظيم السلام .

أما رجال الاقتصاد والاجتماع ، فقد استفاضت الصحف بأنباء نشاطهم وأعمالهم ، وليس تقرير "بيفردج" فى انجلترا ، وتصريحات "سمنرولز" و "كوردل هل" فى أمريكا ، ومؤتمرات التغذية والعمل وتثبيت النقد ، وما تصدره الهيئات العلمية فى هذين البلدين بين الفينة والفينة من كتب وتقارير وأبحاث إلا تمهيدات لتنظيم السلام الذى سيسود العالم .

سيداتى ، سادتى :

لقد أدرك الساسة وأهل الرأى فى الأمم أن أممهم لن ترضى إلا سلاما صحيحا موطد الأركان ، كما أدركوا أن هذا السلام الذى خسرناه بعد الحرب الماضية يجب أن نعمل على كسبه والاحتفاظ به بعد هذه الحرب .

أدركوا ذلك بوحى من أنفسهم ، واستجابة لرغبة شعوبهم ، أدركوه واعلنوه فى أحاديثهم وخطبهم وقراراتهم ووثائقهم واتفاقاتهم ، أدركوا أن الحقوق التى وهبها الله للانسان وجعلها وقفا عليه ، يجب أن يتمتع بها الانسان حيثما كان وايما وجد ، أدركوا أنه بالمساواة بين الأفراد سيستقر فى العالم الأمن وتتوافر السعادة ، وانه ان لم يظفر بهذه الحقوق كاملة فلا أمن ولا سعادة ، ولا قدرة لقوة مهما عظمت على تلافى الحروب أو منع لهيبها من الاندلاع مرة أخرى .

أعلن الرئيس روزفلت فى البند السادس من ميثاق الاطلنطى أن الأمم المتحدة تأمل بعد القضاء على الطغيان النازى ، أن ترى سلاما يكفل لجميع الشعوب أن تكون آمنة فى داخل حدودها ، مع ضمان التحرر من العوز والخوف لجميع الأفراد ، فى كافة أنحاء العالم .

ورد ذلك فى خطابه الذى ألقاه على مندوبى الدول فى مؤتمر العمل الدولى إذ قال : "لقد أكدتم فى قراراتكم حقوق الأفراد فى الرخاء المادى ، وفى التقدم الروحى فى ظل ظروف تتوفر لهم فيها الحرية والكرامة ، ولابد أن يكون هدف السياسة العالمية هو بلوغ هذه الغاية . وسيكون مدى تحقيق هذه الغاية هو المقياس الذى يقاس به نجاح تلك السياسة" .

وكرر الرئيس روزفلت هـذا المعنى الجليل فى خطابه السنوى إلى مجلس الكونجرس الأميركى فى الثانى عشر من يناير سنة ١٩٤٤ إذ قال : "ومن الشروط الأساسية الجوهرية لحفظ السلام إيجاد مستوى محترم للحياة لكل فرد من الرجال والنساء والأطفال فى جميع الأمم ، وأن التحرر من الخوف يتصل اتصالا وثيقا بالتحرر من العوز والفاقة" .

ومجمل القول أن الدولة الأمريكية العظيمة قد رسمت هى وحلفاؤها الخطوط الرئيسية للحريات فى العالم وجعلتها هدف الأمم المتحدة فى كفاحها الحالى ، وهذه الحريات هى :

حرية القول والرأى ، حرية العبادة ، التحرر من العوز والفقر ، التحرر من الظلم والاستعباد .

سيدائى ، سادتى

هذا ما قطعه الساسة الأمريكيون على أنفسهم من عهود، وما أعلنوه عن دولتهم من آراء فى سبيل تنظيم العالم الجديد ، ولقد شاركتهم الدول المتحدة هذا الشرف منذ اعلان الحرب، من ذلك ما ذكره المستر هاليفاكس فى بريطانيا فى ٦ يونيه سنة ١٩٤١ فى خطاب له لمكاتبى الصحف الأجنبية إذ قال : "الواجب علينا أن نوجه سياستنا بحيث تمكن من توفير مستوى عال من الصحة والطعام والتربية لكل سكان الأرض ، وإن الائتلاف بين العقل والعمل فى سبيل البنيان والتعمير ، هو الهدف لرجل المدنية والحضارة ، وان قصر نظر الزعماء الديمقراطيين ، وقربهم من الأنانية ، وبعدهم عن الإيثار يعيد العالم إلى عصر الشقاق الدموى ."

وقال المستر ايدن وزير الخارجية فى خطاب له فى توتنجهام فى ٢٣ يولية سنة ١٩٤٢ " إما أن نبنى مجتمعا دوليا منظما تستطيع كل أمة أن تعيش فيه وتعمل حرة فى غير خوف ولا محاباة ، وإما أن نهلك جميعا فى حمأة هذا النزاع الوحشى ."

ثم توحدت جهود الأمم المتحدة فى سبيل تحقيق هذه الغايات النبيلة ، وتطلعت النفوس فى سائر أنحاء العالم إلى نتيجة تلك الجهود التى بذلت دون كلل ، فى سبيل أمن الانسانية ورفاهة البشر ، فى ظل سلم عادل دائم تناصره وتشد أزره أمم الأرض كبيرها وصغيرها .

تطلعت النفوس إلى نتيجة أعمال مؤتمر "دمبرتون أوكس" ذلك المؤتمر الذى اجتمع فى اكتوبر سنة ١٩٤٤ من مندوبين عن الولايات المتحدة والمملكة المتحدة (التاج البريطانى) والاتحاد السوفيتى والصين لدرس مشروعات انشاء هيئة دولية لتحقيق غرضين أساسيين الأول — منع قيام الحروب وقمعها إذا قامت ، والثانى — تعزيز السلام تعزيزا مطردا . وذلك بانشاء هيئة دولية لخدمة أغراض التقدم فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية كهيئة الدول المتحدة للطعام والزراعة وصندوق النقد الدولى ، والبنك الدولى للتعمير — ومن المقترح كذلك أن ينشأ مجلس للاقتصاد والاجتماع ، لتنسيق الخطط وحل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية الدولية . وللعمل على احترام الحقوق الانسانية والحريات الأساسية .

ويسرنى أن أذكر — ما تعرفونه جميعا — من أن الدعوة قد وجهت إلى الأمم المتحدة ومنها مصر لحضور مؤتمر سان فرنسسكو ، المزمع انعقاده فى الخامس والعشرين من شهر ابريل سنة ١٩٤٥ ، ولقد رأت الحكومات التى اجتمعت فى مؤتمر دمبرتون أوكس — وهى صاحبة الدعوة إلى المؤتمر الجديد — أن يجعل هذا المؤتمر أساس أعماله الاقتراحات الخاصة بالتنظيم الدولى العام . التى سبق إعلانها كنتيجة لأعمال مؤتمر "دمبرتون أوكس" ومنها ما سبق أن أشرت إليه .

من هذا ترون حضراتكم ، أن الأمم المتحدة — حكومات وشعوبا — قد استجابت لدواعي الانسانية التي ذاقت الأمرين في هذه الحرب الضروس. فاتحدت وعملت وجاهدت لكسب السلم، كاتحادها واجتهادها لكسب الحرب — ذلك لأن هذه الشعوب لم تقاتل كل هذه السنين ، لتعود مرة أخرى إلى حياة المخاوف والجوع والآمال الخائبة — ولقد استيقظ العالم وسارت الشعوب في سبيل التقدم ، لا يميز بعضها عن بعض جنس ولا لون ولا عقيدة دينية .

سيداتي سادتي :

لن يفرح الناس بالنصر ان لم يصحبه أمان واطمئنان وسلم ورخاء — وهم يطالبون بالنصر في هذا الميدان بنفس الحماسة التي يطالبون بها بالنصر في حومة الوغى ، وإذا فشل الساسة وأهل الرأي في تحقيق هذه الأمنية للانسانية فسيرى الناس في هذا النصر ضربا من العبث لا طائل وراءه . وهذا هو العامل النفساني الذي يهيمن على العالم اليوم — وهذا العامل هو في نظري الدعامة الأولى لتحقيق التعاون الدولي ، لرفع مستوى المعيشة بين الشعوب .

أما العامل الثاني فهو العامل الاقتصادي :

لقد شاهدنا بعد انتهاء الحرب الماضية حربا اقتصادية شعواء بين شعوب الأرض ، اشتد أوارها على مدى الأيام ، واتخذت أشكالا متعددة ، فمن حواجز جمركية الى توزيع في مناطق النفوذ التجارية أقرب ما يكون الى الاحتكار ، الى اغراق للأسواق ، الى غير ذلك من وسائل المنافسة المشروعة وغير المشروعة — بل لا نغالي إن قلنا إن الحرب الحالية هي نتيجة لتلك الحرب الاقتصادية التي اشتعلت بين الأمم عقب انتهاء الحرب العظمى الماضية.

لهذا، أدرك الساسة ورجال الاقتصاد خطأهم، أو على الأصح الخطأ الذي وقع فيه غيرهم،

فوضعوا خططا عامة ترمي الى تنسيق القوى التجارية الدولية وتوحيد الجهود مع العمل على زيادة الموارد وتوفير المطالب والحاجيات للامم جميعا ، ولقد ورد ميثاق الأطلنطي في البند الرابع منه بأن يكون لكل دولة، صغيرة كانت او كبيرة، غالبة أو مغلوبة، أن تشترك على قدم المساواة في تجارة العالم وأن تجد كل منها السبيل الى المواد الخام التي تحتاجها لتقدمها الاقتصادي كما ورد في البند الخامس بإيجاد التعاون الكامل بين جميع الأمم في الميدان الاقتصادي ، حتى تكفل لجميع مستوى أعلى للمعيشة وتقدما اقتصاديا وضمانا اجتماعيا — ومن هذا أيضا ماورد به "كوردل هل" وزير خارجية الولايات المتحدة السابق من قوله : "علينا أن نوفر موارد كافية لكل أمة لمواجهة مطالب تقدمها وذلك لكي نجعل من الميسور لجميع المواطنين السير نحو رفع مستوى المعيشة ولتنشيط القوى الإنشائية وللمساعدة على الابتكار" .

أدرك الرجال المسؤولون فى الدول العظمى أن زيادة الإنتاج، لن تقوم وحدها كوسيلة، ولن تعتبر حلا لمشاكل العالم الاقتصادية — فالوسائل العلمية الحديثة وحسن توزيع المواد الخام ستكفل زيادة الإنتاج — إنما المشكلة الأساسية هى مشكلة توزيع المنتجات، وبعبارة أخرى هى مشكلة تنظيم توزيع الإنتاج العالمى توزيعا عادلا .

أدركوا أن هذه هى المشكلة الأساسية، وفكروا فى حلها طويلا ثم انتهوا الى رأى يسرنى أن أسجله على لسان وزير مسؤول فى الحكومة البريطانية وهو وزير التعمير، أثبته فى تقرير قدمه للبرلمان الانجليزى — جاء فيه أن الدول التى تعتمد على صادراتها وبخاصة التى تعتمد الى حد كبير مثلنا على إصدار البضائع المصنوعة ذات النوع الجيد هى فى حاجة الى أن تكون أسواقها الخارجية فى حالة رخاء — ولن يتحقق هذا الأمر بغير التعاون الوثيق بين الأمم — ومن ثم كان من ألزم واجبات الحكومة نحو سياسة العمل أن تتعاون تعاونا فعالا مع الأمم الأخرى لتحقيق غرضين : أولهما — إعادة الاستقرار الاقتصادى الذى أعقب هزات الحرب واضطراباتها، وثانيهما — توسيع نطاق التجارة باطراد، وأن ترقية وسائل الاستغلال الكامل لموارد العالم البشرية والمادية التى تبنى على أساس خطط اجتماعية واقتصادية سليمة . هى الشرط الأول لتحقيق زيادة مطردة فى الانتاج وقوة الشراء كليهما، وأن تقدم الشعوب صوب مستوى أرقى فى المعيشة يعين على حل مشاكل اقتصادية عديدة — ولن يتم التحرر من العوز والحاجة بغير تعاون وثيق بين الشعوب .

هذا رأى وزير مسؤول أعلنه فى صراحة وأثبته فى تقرير مطبوع وزع فى أنحاء العالم، ومنه يتضح أن رفع مستوى المعيشة فى الشعوب ، يعين على حل مشاكل اقتصادية كثيرة لأنه يساعد على إيجاد أسواق ترتفع فيها قوة الشراء .

ومعنى ذلك : أن الأسواق التجارية فى مختلف الأمم تزداد قيمتها بارتفاع مستوى المعيشة بين أفرادها ، وبالتالى فسيكون من واجب الدول العظمى، ذات الإنتاج الضخم أن تسعى جهدها لرفع مستوى المعيشة فى الشعوب التى تتعامل وإياها، لا خدمة للانسانية فحسب ، بل سعيا وراء مصلحتها الخاصة كذلك . وإن لم تعمل ذلك قل استهلاك الفرد لقلة موارده وضعفت قوته الشرائية ، ونتج عن ذلك هبوط مستوى معيشته .

من هذا ترون حضراتكم قيمة العامل الاقتصادى فى جعل رفع مستوى المعيشة فى الشعوب مسألة دولية .

وهذا هو العامل الثانى — أما العامل الثالث فهو العامل السياسى :

أثبتت الحرب الحالية ، كما أثبتت الحرب الماضية ، أن دولة بمفردها لا يمكنها أن ترد عن نفسها اعتداء خارجيا مادام فى العالم أمم سياستها التهديد والاستعداد الحربى لانتهاك حرمات الدول الأخرى . وأن الدفاع عن سلامة الدولة لا يمكن أن يكون إلا عن طريق

تحالفها مع دول أخرى ، ذلك لأن الدول المحبة للسلام لا تحتفظ عادة بقوة حربية كبيرة للحافظة على سلامتها — ولا ترغب هذه الدول عادة فى تخصيص أهم مواردها للأعمال العسكرية ، لما ينتج عن ذلك من شل لإنتاجها .

ولقد انقضى العهد الذى كانت فيه العزلة ضمانا لسلامة الدولة — فلا العقبات الطبيعية ولا الصناعية أمكنها أن تقف حائلا دون وقوع الاعتداء — وقد قصرت المسافات — بل تلاشت — إزاء الاختراعات الحديثة التى كادت تسبق الصوت فى سرعته ، والتى مكنت الدول من نقل جيوش بأكملها عبر المحيطات والبحار والجبال فى أقصر وقت .

أدركت الدول العظمى ذلك فأعلنت مواثيقها أنها لا تطمع فى توسع أقليمى أو فى إحداث تعديلات إقليمية لا ترضاها الدول بمحض إرادتها وكامل حريتها — كما جاء فى ميثاق الاطلنطى .

وإذا كان بعض الكتاب يعزو هذا الاتجاه الخير الى تكافؤ القوى بين الدول العظمى وشعور كل منها بأنه قد أصبح من المتعذر أن تتصرف على حدة كيف شاءت فى مصير الأمم — لأن باقى الدول لن تسمح لها بذلك — لو صح هذا الزعم فانه لا يغير من النتيجة شيئا .

تلك النتيجة هى أن نزعة الاستعمار والرغبة فيه قد تقلصت لدى الدول الكبيرة ، وصح منها العزم على العمل لتحقيق التعاون بينها وبين الشعوب عن طريق المصالح المشتركة .

ولا شك أن هذا الأمر يعتبر حدثا سياسيا فى تاريخ العلاقات الدولية كما يعتبر فى نفس الوقت نضجا فى التفكير الإنسانى ، واتجاها جديدا من الأمم نحو الصواب . فلقد كانت سياسة الاستعمار هى السبب فى وقوع النفور بين الدول ، سواء بين الدولة المستعمرة والدولة المستعمرة أو بين المستعمرين أنفسهم .

ولا شك أن النتيجة الطبيعية لهذا الاتجاه الجديد فى السياسة ، هى حصول كثير من الأمم — التى أثبتت أن لها كيانا خاصا وقدرة على القيام بمسؤولياتها — على استقلالها وتمتعها بكافة الحقوق الدولية ، كما أن من نتيجته بالنسبة للدول الأقل شأنا فى هذه النواحى تخفيف الوسائل الاستعمارية التى كانت تستعمل عادة . ومن المعلوم لنا جميعا أن الأمم المستعمرة كثيرا ما رأت أن سياسة الاحتفاظ بمستوى منخفض من المعيشة فى الشعوب هى السياسة الرشيدة ، لأن فيها خير ضمان لعدم قيام هذه الشعوب للمطالبة بحقوقها السياسية والاجتماعية والاقتصادية — وفى هذا السبيل ذهبت بعض الدول مذاهب شتى واستخدمت أحيانا من الوسائل ما لا ينطبق على أبسط مبادئ الانسانية .

أما وقد أخذت الدول العظمى تتجه اتجاها جديدا نحو هذه المبادئ الأنسانية ، فلجزء كبير من العالم أن يأمل فى حياة أكثر رغدا وأعلى مستوى من حياته الحالية ، بفضل ما ستبذله هذه الدول من مساعدة وارشاد فى هذا السبيل .

سيداتى سادتى :

هذه هى العوامل الثلاثة — فى نظرى — التى سيكون لها أكبر الأثر وأعظم الفضل فى جعل مسألة رفع مستوى المعيشة فى الشعوب مسألة دولية ، وهى أولا : العامل النفسانى ، وثانيا : العامل الاقتصادى ، وثالثا : العامل السياسى .

بقى علينا أن نذكر الوسائل التى تستعمل لتحقيق هـذا الغرض الأسمى — ولما كنا مقيدين بوقت محدود ، فانى أستميحكم عذرا اذا ذكرت الوسيلة مع تعليق موجز كلما أمكن ذلك .

تنقسم وسائل رفع مستوى المعيشة فى شعب ما الى نوعين :

وسائل خارجية ، وأخرى داخلية ، وبعبارة أدق وسائل دولية ، وأخرى قومية :

الوسائل الخارجية أو الدولية :

إن النصر الحاسم الذى ستظفر به الأمم المتحدة ، والذى بدت بشائره وظهرت أماراته ، سيجعل من الميسور اقامة نظام عالمى أفضل من النظام الحالى — نظام يحقق للانسانية ما هى فى حاجة اليه من حرية وأمن ورخاء وتحرر من العوز والمرض والخوف .

فبمجرد انتهاء هذه الحرب ستتجه الجهود الدولية أول ما تتجه الى مد يد المساعدة الى الشعوب التى اجتاحتها الجيوش — الى الشعوب التى فقدت المأوى والغذاء الصالح — الى الشعوب التى ذاقت أنواع الحرمان طوال سنى هذه الحرب — وهذه المساعدة هى بمثابة إسعاف سريع لتوفير الغذاء والكساء والعلاج — وهذا الواجب الانسانى هو الذى حدا بالأمم المتحدة الى وضع نظام المساعدة والتعمير — ذلك النظام الذى وضعته الأمم المتحدة فى واشنطون فى يناير سنة ١٩٤٢ والذى يقضى بأنه على أثر تحرير كل منطقة يتلقى أهلها فى الحال المعونة والمساعدة لتخفيف آلامهم واسعافهم بالطعام واللباس والمأوى والعمل على منع انتشار الأوبئة . . . ومد يد المساعدة لاستئناف الانتاج الزراعى والصناعى الذى تدعو اليه الحاجة ، واعادة المرافق الجوهرية ، وقد اتفقت جميع الدول المتحدة على أن تتعاون وتشترك فى أعمال المساعدة والتعمير كل على حسب مواردها الخاصة .

وبعد الانتهاء من هذه المهمة الشاقة — وربما فى أثناء القيام بها — سترى الأمم المتحدة من واجبها عدم اغفال حالة الشعوب التى تأثرت مواردها من جراء هذا الحرب التى حرمتها من المواد الأولية اللازمة فى الصناعة أو من المخصبات والبذور والآلات اللازمة فى الزراعة ، وهذه الشعوب تحتاج الى معونة سريعة لتخفيف وطأة هذا الحرمان ، ولتحسين الانتاج وزيادته لتزويد العالم بما يحتاجه من مواد غذائية وأطعمة ومنتجات — وهذا الاجراء هو نوع من أنواع الاسعاف وان أنه يأتى فى المرتبة الثانية .

ويلحق بما تقدم ولا ينفصل عنه وجوب المبادرة الى وضع الأسس الفعالة لتثبيت النقد والقضاء على كل تلاعب يسبب هزات اقتصادية مفتعلة تؤثر فى الأسواق أسوأ تأثير، وأظنكم قد سمعتم الشيء الكثير عن المشروعين المعدين للتغلب على هذه المشكلة وأعنى بهما المشروع البريطانى المعروف باسم مشروع "كينز"، والمشروع الأمريكى المعروف باسم مشروع "وايت"، وكلا المشروعين وان اختلفا فى بعض التفاصيل إلا انهما قد اتفقا على وجوب إنشاء هيئة دولية يكون لها السيطرة التامة على المبادلات المالية فى العالم — ولقد اجتمع مؤتمر النقد الدولى منذ شهور للوصول الى حل فى هذا الشأن، وقرر فيما قرره وجوب إنشاء مؤسسة "رأس المال الدولية" مع تزويدها بالسلطة والموارد الكافية، للاضطلاع بما يعهد اليها من مهام .

سيداتى وسادتى :

بعد أن تنتهى الدول المتحدة من اتخاذ الاجراءات الأولية التى ذكرتها، والتى هى بمثابة اسعافات ضرورية للعالم، سوف تجد من واجبها وضع أسس وقواعد وبرامج لتنظيم الحياة فى ظل سلام يكفل لجميع الشعوب أن تكون — على حد ما ذكر — فى ميثاق الأطلنطى آمنة فى كافة البلاد، ولا شك أن التحرر من العوز واطراد التقدم الاقتصادى وما يتبع ذلك من رفع مستوى المعيشة فى الأمم، يستدعى التعاون التام بين الدول لتحقيق عدة أمور .

أولها الامن الدولى :

لن يتحقق التعاون الاقتصادى بين الدول إلا اذا اطمأنت كل دولة على سلامتها من الغزو الأجنبى — وكل ما يوضع من مشروعات وبرامج اقتصادية لزيادة الانتاج الزراعى أو الصناعى لن يكون نصيبه النجاح إلا اذا أمنت بعض الدول شر بعضها واستخدمت مواردها لخير الانسان ورفع مستواه المعيشى فى جميع أنحاء العالم — أما استمرار الخوف من الاعتداء فانه سيدفع الدول الى استخدام الأيدى العاملة والموارد الطبيعية وصرف الأموال الطائلة على التسلح والاستعداد لدفع الاعتداء إذا وقع، وبهذا تنصرف الدول عن العمل المثمر ورفع مستوى المعيشة الى العمل لاعداد أدوات الهلاك دون اهتمام بالانسان أو مستوى معيشته — وقد كان تحقيق هذه الغاية هو الهدف الأساسى فى مؤتمر "دمبرتون أوكس" وسيكون كذلك فى مؤتمر سان "فرنسسكو" المزمع عقده فى الشهر القادم ان شاء الله .

أما ثانى هذه الواجبات فهو رسم سياسة اقتصادية جديدة :

على الأمم المتحدة أن تسعى لوضع الأسس اللازمة لقيام حالة من الاستقرار فى العلاقات الاقتصادية بين الشعوب ؛ وذلك لنتفادى ما سبق أن وقعنا فيه من أخطاء عقب الحرب الماضية عند ما عمدت الدول الى اقامة سياج من الحواجز الجمركية، مما أدى الى حالة

من الكساد شملت العالم كله، ومما كان له أسوأ الأثر في الاستهلاك العالمي، فقد تكدست المواد الغذائية والبضائع لدى بعض الدول في حين عاش ملايين من البشر محرومين منها بسبب الحواجز الجمركية التي كانت متقامة بين الدول كحوائط شاهقة يستحيل تخطيها .

ويرتبط بموضوع السياسة الجمركية موضوع المواد الأولية وتوزيعها توزيعا عادلا يضمن تحقيق رخاء العالم ورفع مستواه، كما يجنب الدول ذلك التطاحن والتزاع المستمرين، ولما كانت الولايات المتحدة وبريطانيا تتحكمان في أكبر جزء من موارد المواد الخام في العالم — من معدنية وزراعية — فان في وسعهما أن يقدما أكبر مساعدة لحل هذه المشكلة.

كما يرتبط بمسألة الحواجز الجمركية والمواد الأولية أمر آخر غاية في الأهمية، كثيرا ما جر على الانسانية أعظم المصائب وأقسى ضروب الحرمان، وأعني به المعاهدات التجارية ذات الطابع القومي — تلك المعاهدات التي تمنح لدولة ما سلسلة من المزايا والفرص الخاصة كثيرا ما تؤدي إلى الاحتكار وشل مرافق الإنتاج الصناعي في الدول التي ليست طرفا في هذه المعاهدة — ولما كان من أغراض الأمم المتحدة أن تستغل الدول أقصى طاقتها الزراعية والصناعية، لمد العالم بما يحتاجه، وللقضاء على العوز بكافة صوره، فان من ألزم الأمور أن تبادر الدول إلى القضاء على هذه السياسة قضاء لا بعث بعده .

وثالث الواجبات الدولية لرفع مستوى المعيشة هو التعاون بكافة أنواعه:

التعاون الفكري أو العلمي بتبادل الآراء للوصول إلى خير السبل لزيادة الإنتاج وحسن توزيع ما ينتج، وذلك عن طريق تكوين هيئات دولية دائمة لوضع أحسن القواعد التي يحسن اتباعها، ولتزويد الدول بالآراء والبحوث الفنية في الصناعة والزراعة، وتبادل المعلومات والتقارير، والأستعانة بالخبراء الفنيين في مساعدة الأمم الناشئة، وتقديم الإرشادات لها .

والتعاون المادي لمد الدول بالآلات اللازمة للنهوض بانتاجها وزيادته. وبالمخترعات والمبتكرات الحديثة، دون إرهاقها بأثمان باهظة، أو استغلالها بفوائد مرتفعة .

ويلحق بذلك — بل يفوقه — أهمية واجب مد الدول الصغيرة بما تحتاجه من مستحضرات طبية وإرشادات صحية، وخاصة إذا نزل بها وباء هدد غيرها من الدول .

ومن الواجبات الدولية كذلك بذل المعونة المالية عن طريق الإقراض أو الاشتراك في التأسيس، كلما طلبت الدول الصغيرة ذلك، واقتنعت الدول الكبيرة بنفع المشروع وفوائده.

هذه هي أهم الوسائل التي يجب علينا أن نسعى لتحقيقها اذا أردنا أن نعيش سعداء في عالم آمن .

بقيت الوسائل الداخلية أو القومية، وأقصد بها واجبات كل دولة للنهوض بنصيبها في وضع دعائم العالم الجديد، فمن غير الجائز أن نفترض أن عبء رفع مستوى المعيشة في الشعوب ملقى بأكمله على كاهل الهيئات الدولية وأن الدولة معفاة من كل واجب في هذا الشأن بل الواقع أن عليها واجبات هامة :

أولها — تنشيط الانتاج :

إن كل أمة تريد أن تحقق مستوى معيشيا رفيعا لأبنائها ، لا بد أن تستغل كافة الأساليب العلمية التى تزيد فى قدرة النشاط الاقتصادى للشعب حتى يصبح قادرا على الانتاج الوافر ليستمتع بحياة أرقى ومعيشة أكمل .

إن براعة الدول فى اختيار أنسب الوسائل وأحسن الطرق المؤدية الى تنظيم قوى أبنائها وحسن استغلال مواردها الطبيعية وثروتها المعدنية ، يعتبر السبب الأول لتمتعها بحياة الرخاء. والأساس الأصلح لأقامة صرح هذه الحياة السعيدة فى العالم .

إن انشاء الصناعات الصغيرة يعتبر من أهم العوامل لتنشيط روح الصناعة والتجارة فى الشعب ، مما ينتج عنه زيادة الدخل القومى ، فارتفاع قوة الشراء التى تستتبع حتما رفع مستوى المعيشة فيه ، ومن الثابت أن الشعوب التى تعيش من موارد صناعاتها — من الواجب عليها أن يعمل كل شعب على وجود صناعات تتفق وموارده الطبيعية وما تغله أرضه من منتجات .

فعلى الأمم أن تستغل كل شبر فى أرضها وكل معدن فى تربتها وكل مورد طبيعى لها — عليها أن تستصلح الأراضى وأن تزيد فى خصبها وأن تبحث عن المعادن لاستخراجها والانتفاع بها ، وأن تستغل مواردها الطبيعية من مائية وحيوانية لتوفير العمل للجميع وتزويد العالم بما يحتاجه من مواد أولية وغذاء .

الواجب الثانى — على الدولة " العناية بالصحة العامة " :

إن وضع برامج صحية للقضاء على الأمراض المتوطنة لمن أهم واجبات الدول — فان هذه الأمراض فوق فتكها بآلاف الأنفس تقلل من قدرة الفرد على العمل ، و بالتالى تنقص من انتاجه فيقل دخله ويهبط مستوى معيشته ، كما أن المريض بمرض معد ينقل العدوى الى الأصحاء من أفراد الشعب ، وكثيرا ما تنتقل الأمراض من دولة الى أخرى مما يسبب قلة الانتاج فى العالم ، وهبوط مستوى المعيشة فيه .

فعلى الدولة — وقد سبق الاشارة أنه واجب دولى كذلك — أن توفر وسائل العلاج للطبقات الفقيرة ، وذلك بانشاء المستشفيات والعيادات المجانية وتوزيع الدواء .

ويرتبط بتوفير العلاج والدواء توفير الغذاء والكساء ، فمن الثابت أن الأجسام التى تنال قسطها من الغذاء أكثر مقاومة للمرض من غيرها — كما أن الكساء كثيرا ما يقى الانسان من أمراض كثيرة أو على الأقل يخفف أثر المرض فيه ، كما شاهدنا ذلك فى مرض الملاريا الذى اجتاح أعالى الصعيد فى السنوات الأخيرة .

ولست فى حاجة الى القول بأن العامل أو الزارع اذا ما توفر له الغذاء الكافى زاد انتاجه وكان أكثر اتقانا لعمله — وزيادة الانتاج ورقى نوعه يعود ان عليه وعلى صاحب العمل بالفائدة لزيادة دخل كل منهما، وبالتالى رفع مستوى معيشتهما . لذلك كان من أهم واجبات الدولة أن تضع مناسيب عادلة لاستهلاك الاغذية بين طبقات الشعب وخاصة الطبقة العاملة والفقيرة .

الواجب الثالث — على الدولة "وضع برامج جديدة لتعليم النشء" :

لقد كان تعاون الامم المتحدة فى هذه الحرب متينا وقويا الى حد لم يسبق له مثيل فى تاريخ العالم ، لقد تناسى الجميع ما بينهم من فوارق فى الجنس أو اللون أو اللغة أو الدين وانصرفوا بكل قواهم لتحقيق غرض واحد هو النصر .

فمن واجبنا أن نتعهد هذا الشعور ونرعاه وألا نألو جهدا فى تمينه وتقويته .

وعلينا أن نعلم الشباب فى معاهدنا أن الإنسان إنسان حيثما كان ، له حقوق يجب أن ترعى وأن تصان ، وأن لا فضل لجنس على جنس الا بالعمل لخير الانسان .

هذه هى أهم الواجبات التى تضطلع بها الدولة لكى تساهم فى بناء العالم الجديد، وتصبح عضوا نافعا فى هذا المجتمع ولكى تحقق ما تصبو اليه جميعا من حياة هادئة سعيدة .

سيداتى وساداتى :

لا شك أنها روح طيبة ، هذه الروح التى أملت على زعماء العالم وقادة الرأى فيه، تلك المبادئ الانسانية السامية التى تجلى فيها قرروا من قواعد، وما عقدوا من اتفاقات، وما رسموا للمستقبل من خطط تهدف كلها الى إيجاد عالم خير من هذا العالم ، يسوده السلام والطمأنينة وينعم الناس فيه بالحرية والعدل، وتتاح لهم فرص الحياة الطيبة والتحرر من العوز والخوف . وكل هذا حسن وجميل ويبشر بخير كثير .

ولكن العالم قد رأى من قبل وعودا تبذل فلا تلبث أن تتبخر فى الهواء، وخططا ترسم ثم تعصف بها الأهواء، وعهودا تفسر لصالح الأقوياء دون الضعفاء، إن العالم وقد عرف كل ذلك ودفع فى سبيل هذه المعرفة ثمنا غاليا من أمان مضيعة وحقوق مغتصبة ومن حرب طاحنة كادت تذهب بالأخضر واليابس ، واصطلى بنارها المحارب والمحايد بعد فترة من الزمن ظل فيها كابوس الحرب جاثما على الصدور يروع الشعوب ويقض مضاجعها حتى تمنت أن تجد مخرجا من التهديد بالحرب ولو الى الحرب ، إن العالم وقد عرف كل ذلك لم

يعد تقنعه الأقوال تناقضها الأفعال ، ولا المعاهدات يضعف أحكامها التفسير والتأويل ، ولا المبادئ يذهب باثرها التعديل والتبديل ، وأن يرضيه الا النية الصادقة والعدالة المطلقة يسودان كل ما يبرم من عهود ومواثيق ، وما يوضع من مبادئ وخطط لا فرق بين الغرب والشرق أو بين الكبير والصغير والقوى والضعيف .

ولا شك أن من يمن الطالع أن الذين أخذوا على عاتقهم مسئولية تنظيم السلم وأقامته على دعائم ثابتة ، هم طائفة من العباقرة الأفذاذ الذين قل أن وجد مثلهم فى جيل واحد ، يشهد لهم بذلك ما أبدوا من نافذ البصيرة ، وما صحبهم من توفيق فى حل مشاكل الحرب ، وكل ما اتصل من شؤون السياسة والاجتماع والاقتصاد ، مما يبشر بطلوع فجر جديد يفيض على الانسانية نورا ساطعا وبركة شاملة إن شاء الله .

دائما على حال واحدة لأن أمثالى لا يتغيرون .

(نابليون)

انى وسيفى بجانبى ، وإلياذة هوميروس بين يدى ، أستطيع أن أخوض غمار الحياة وأفوز فى معتركها .

(نابليون)